عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 101 / 1 أيلول 2017

الغوطة الشرقية

عدسة فادي الشامي - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

عيد آخر

يتزامن صدور هذا العدد مع أول أيام عيد الأضحى المبارك، وفيه نتمنى لأهلنا وناسنا السلام وما أمكن من فرح. ونأمل أن يكون آخر عيد يقضونه في المخيمات، وتحت القصف، وفي أسر الظلم، وفي المنافي.

تمر السنوات وتتوالى الأعياد والطريق يزداد غموضاً، والحلم بحياة مستقرة كريمة يصبح أبعد. هذا صحيح، ولكن الصحيح أيضاً أن التاريخ لا يرجع إلى الوراء مهما كلّت الأيادي التي طرقت باب المستقبل.

الطريق إلى إعادة تأهيل الأسد مقطوع، مهما راجت تسريبات مزعومة تتلقاها أنفس قلقة. فبعد كل ما جرى أصبح الأسد عثرة في طريق السلام في سورية، وهذا أمر يعرفه حلفاؤه جيداً. كل ما يجري هو البحث عن الترتيبات المناسبة، بعد أن بلغ الوضع السوري مرحلة صار لا بد فيها من حل قريب.

إذاً، وفي رأينا على الأقل، سيأتي اليوم التالي غداً أو بعد غد، بمرحلة انتقالية قصيرة جداً أو قصيرة، وسيصبح هذا الكابوس من الماضي. ولكن ما حصل ليس سهلاً على الإطلاق، والمستقبل ليس مزدهراً بعفوية، فحجم ما جرى من خراب وإجرام وتعسكر وتدخلات دولية وانهيار مجالات مركزية في حياة السوريين، كالاقتصاد والصحة والتعليم والخدمات... هي كلها أمور تستغرق سنوات طويلة من الجهد.

وفي تلك المراحل ستحتاج البلاد إلى استنفار كل طاقاتها. لعل هذه ليست بشرى طيبة ومريحة لمن تعبوا، وهم كثيرون ومعهم الحق، ولكنها دعوة إلى الاستعداد لنفَس طويل وصبور لمن سيتابع الطريق. الذي لن يكون ورديا كما قلنا، ولكنه سيكون في اتجاه البناء لا مجرد مراوحة قرب الصفر، كما هو حاصل الآن.

ولهذا يحتفل غلاف هذا العدد برجال الدفاع المدني، ذوي القبعات البيض والقلوب البيضاء، الذين يُصلحون عندما يُفسد الناس، ودوماً يتلقون الضربات ويتعرضون لتشويه الصورة لأنهم أحد الجوانب القليلة الناصعة التي تستفز كل سواد من أي طرف أتى.

كل عام وأمهات الشهداء وعائلاتهم بخير، وأسرانا أحرار، والبلاد أقرب إلى الأمان والرفاه.

3 في مدينة الطبقة: 150 ألف نازح يعتمدون على ما تقدمه المنظمات
5-4 دير الزور... ماذا بعد؟
6 لا شواهد لقبورهم، وبعضهم بلا قبور
7 العبور إلى تركيا، سوق تهريب البشر في إدلب
9-8 مهجرو حلب
12 تراجع دعاية داعش بالروسية
13 مزرعة الحيوانات والمجتمع المتجانس
15 اليوم التالي

من مدينة الطبقة

في مدينة الطبقة...

150 ألف نازح يعتمدون على ما تقدمه منظمات الإغاثة

تقرير خاص

منذ سيطرت «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) على مدينة الطبقة، في أيار الماضي، نشطت منظمات تعنى بشؤون الإغاثة والصحة والخدمات والبنى التحتية، بعضها تأسس في المدينة، فيما شكل البعض الآخر فروعاً لمنظمات مؤسسة من قبل.

يصعب اليوم، في ظل الأزمات الكبيرة التي تعاني منها مدينة خارجة من حرب مثل الطبقة، تقييم أدوار هذه المنظمات، نظراً لتنوع مجالات عملها واتساع الشرائح المستهدفة في مشاريعها القصيرة والطويلة الأجل. يتقاطع عمل بعض المنظمات في مجالات اختصاصاتها المتنوعة، وتتكامل أنشطتها -نظرياً- في سعيها إلى توفير الشروط المعيشية للفئتين اللتين تستهدفهما، من سكان أصليين في المدينة ونازحين إليها. كما يمكن تقسيم النازحين إلى فئات تبعاً للمناطق التي جاؤوا منها. يفيد هذا التقسيم في تقدير الاحتياجات والتخطيط لتلبيتها، إذ سيرجع النازحون من مدينة الرقة إليها بعد خروج التنظيم، ما سيقلص أعداد النازحين إلى حد كبير خلال الأشهر القريبة القادمة، بناء على مجريات العملية العسكرية الدالة. أما النازحون من المناطق الخاضعة لسيطرة النظام في ريف حلب الشرقي فلا يمكن التكهن بوقت رجوعهم، ما يفرض على منظمات الإغاثة إدخال بقائهم الطويل في مدينة الطبقة في الحسبان. وكذلك الحال بالنسبة إلى سكان الطبقة النازحين عنها، الذين ترتبط عودة بعضهم بتحسن الأحوال الاقتصادية والخدمية، وهو الشأن المنوط بمجلس الطبقة المدني -أسسته قسد- وبالمنظمات المهتمة بإعادة تأهيل البنى التحتية والمنظومات المرتبطة بها في حقول الخدمات والصحة والتعليم. إلى حد كبير يعتمد مجلس الطبقة على المشاريع التي تنفذها المنظمات، سواء تلك المهتمة بمياه الشرب أو صيانة الأبنية المدرسية أو توفير الخدمات الطبية. وتبرز المشاريع الضخمة التي تنفذها منظمات مثل Concern Worldwide وW.F.B وI.R.D وMERCY CORPS و«فريق التدخل السريع» و«أمل أفضل للطبقة» وغيرها، إضافة إلى المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNCHR، كرافد هام لجهود إعادة الاستقرار في الطبقة، نظراً لطيف الأعمال الواسع الذي تنفذه هذه المنظمات. ابتداء من تأمين مياه الشرب (Concern) وانتهاء بإصلاح الطرق (فريق التدخل السريع)، مروراً بحملات التوعية التي تطلقها من حين لآخر (أمل أفضل للطبقة)، وما يرافق هذه الحملات من أنشطة ميدانية بتجميل شوارع المدينة ومحو آثار داعش من جدرانها. وإلى جانب هذه الأعمال تضطلع بعض هذه المنظمات بأعمال إغاثية شديدة الأهمية في مدينة الطبقة اليوم، رغم المصاعب التي تفرضها الأعداد المرتفعة لمستحقي العون بما يفوق، في كثير من الحالات، الإمكانات والموارد المالية المتاحة لهذه المنظمات.

أحصى مكتب شؤون المنظمات التابع لمجلس الطبقة المدني أكثر من 125 ألف نازح إلى المدينة، في إحصاء غير مكتمل حتى الآن، ما قد يرفع العدد إلى 150 ألفاً، وربما أكثر، يحتاجون جميعاً إلى سلال غذاء يومية ومساعدات أخرى تحسّن أماكن الإيواء المؤقتة التي يقيمون فيها. وبالتالي إلى منظمات توزع سلالاً غذائية بشكل شبه منتظم، وأغطية وأدوات المطابخ وخيم ومصابيح وغيرها من مستلزمات الإيواء الضرورية. تطرح قضية النازحين مشكلة أخرى تتمثل بإشغالهم بعض المدارس، ما قد يعيق خطط مجلس الطبقة ببدء العام الدراسي منتصف أيلول القادم. ويشكو أعضاء المجلس من تأخر تنفيذ الوعود التي قطعتها منظمات دولية بالمساعدة على تأمين أماكن إيواء بديلة.

تقول أم علي، النازحة إلى الطبقة من بيتها في حي الدرعية بمدينة الرقة، إنها لم تجد مأوى، لها ولأطفالها، سوى مدرسة، تشاركت فيها مع أسرة أخرى الإقامة في غرفة صفية. وتشعر المرأة بالخطر من شائعات إخلائهم: «وين نروح؟... ما بي مكان نتآوى بيه غير هالمدرسة». وفضلاً عن شبح الإقامة في العراء يخشى هؤلاء المقيمون ضياع فرصهم بالحصول على السلل الغذائية التي تقدمها المنظمات في حال تركوا المدارس التي تعد هدفاً رئيسياً لأعمال الإغاثة، بالإضافة إلى الأمكنة والمباني العامة الأخرى حيث التجمعات الكبيرة للنازحين. أم علي ومعظم من ينال مساعدة المنظمات في مدينة الطبقة يعتمدون على هذه المساعدات بشكل رئيسي في حياتهم اليومية، ولولاها لتحولوا إلى متسولين حسب ما يقول عبد الله، النازح هو الآخر من الرقة مع زوجته وابنته وأولادها: «ما بي شغل، وما أقدر أشتغل. صار عمري خمسة وستين سنة. وما لي حدا برى يبعث لي شي. عايشين على هالإغاثات والمساعدات اللي تتوزع، والحمد لله ماشي الحال. لولاها كنا شحذنا أو متنا من الجوع».

دير الزور.. ماذا بعد؟؟

نشوان الصالح

تلوح في الأفق معالم توافق روسي أميركي بخصوص محافظة دير الزور. توافقٌ لم تُعرف تفاصيله الدقيقة بعد، لكن يمكن استقراء ملامحه الأولية ضمن التقسيم الجغرافي للمحافظة، بحيث تكون الضفة الشمالية للنهر (الجزيرة) منطقة نفوذ الولايات المتحدة، بينما تخضع الضفة الجنوبية (الشامية) للنفوذ الروسي.

بوادر التوافق:

أولاً: من الجهة الشامية ظهرت أولى المعطيات بوصول قوات النظام وميليشياته، بإدارة وتغطية جوية روسية، إلى الحدود السورية العراقية شمال قاعدة «التنف» الأميركية، والسيطرة على «حميمة»، ووقوفها على مشارف المحطة الثانية T2، وبالتالي قطع الطريق على جميع فصائل المعارضة الموجودة في البادية السورية. وتظهر ثانيها في اتفاق «العكيرشي» الذي أفسحت بموجبه «قوات سوريا الديمقراطية» الطريق لقوات النظام وميليشياته للتقدم على الضفة الجنوبية لنهر الفرات اعتباراً من قرية «دلحة» باتجاه دير الزور. وثالثها إعلان وزارة الدفاع الروسية بدء التقدم باتجاه دير الزور (الثلاثاء 22-08-2017)، بعد السيطرة على «السخنة» وتطويق تنظيم الدولة في منطقة «عقربات» في بادية حمص. حدث هذا كله تحت غطاء من الصمت الأميركي.

لكن على هذا الجانب تبقى عقدة إيران وطريق طهران-دمشق. تلك العقدة التي لا يمكن للولايات المتحدة السكوت عنها ما لم تقدم روسيا ضمانات بإبعاد إيران عن المعابر الحدودية بين سوريا والعراق في المستقبل.

ثانياً: من جهة الجزيرة، حيث لا تزال الولايات المتحدة (قائدة التحالف ضد الإرهاب) مشغولة بالرقة لكنها تحاول توجيه رسائل متزامنة على مستويين لأبناء دير الزور:

- **الأولى عسكرية**، عن طريق المقدم مهند طلاع قائد فصيل «مغاوير الثورة» المدعوم من البنتاغون، مفادها أن الولايات المتحدة ستنشئ غرفة عمليات عسكرية خاصة بمحافظة دير الزور في مدينة «الشدادي»، معزولة تماماً عن «قوات سوريا الديمقراطية»، شريطة أن يتجمع 500 مقاتل على الأقل من أبناء دير الزور مقبولين أميركياً.

تلك الرسالة التي فهمها العسكر الديري المعارض جيداً، فأخذت الساحة تعج بمبادرات التوحد والتوافق أو حتى التجاذب، فشهدنا ولادة «لواء تحرير دير الزور» الذي ضم ما تبقى من غالبية كتائب مدينة دير الزور، ورأينا نشأة تحالف بين «جيش أسود الشرقية» و«قوات أحمد العبدو»، الموجودان في البادية السورية، مع فصيل «أحرار الشرقية» (الشرقيين من أحرار الشام) الموجود في مناطق سيطرة درع الفرات، وإعلان هذا التحالف أن البادية هي الجبهة الوحيدة التي يمكن تحرير دير الزور عبرها.

لكن، أيضاً، في هذه الطروحات هناك عدة عُقَد لم تُحل بعد:

أولها مصالح تركيا التي لم تحسم أمرها بالوقوف مع أحد هذه المشاريع أو الوقوف في وجهها جميعاً، ودون الموافقة التركية لن يستطيع أي مقاتل الانتقال إلى الشدادي أو إلى البادية السورية في الجنوب.

وثانيها عن إمكانية تجميع 500 مقاتل على الأقل -مقبولين أميركياً- في الشدادي، ضمن سباق مع الزمن متعلق بانتهاء معركة الرقة، الأمر الذي بات قريباً، من جهة، وتقدم قوات النظام باتجاه دير الزور من جهة أخرى، وعن مدى إمكانية هذا العدد لتحرير مساحات واسعة متمثلة بمنطقة الجزيرة في محافظة دير الزور.

وثالثها عن الدعم الأميركي لفصائل الجنوب، والذي ينتهي في الشهر العاشر من هذا العام حسب بعض التسريبات، وعن التغطية الجوية التي لم تحضر أبداً طوال مدة الدعم.

- **الثانية سياسية**، تسرّبها الولايات المتحدة عبر بعض قنواتها. ومفادها أن الإدارة الأميركية تبحث عن مشروع متكامل لتحرير دير الزور وإدارتها من قبل أبنائها. وأن هذا المشروع ينبغي أن يكون متناغماً مع مشروع البنتاغون -مغاوير الثورة- انطلاقاً من الشدادي. وربما تشهد الساحة الإعلامية بعض هذه المشاريع في المرحلة القريبة جداً، إذ يعمل رياض درار، رئيس «مجلس سوريا الديمقراطي»، على تشكيل جسم مدني في مناطق سيطرة قسد من أبناء دير الزور.

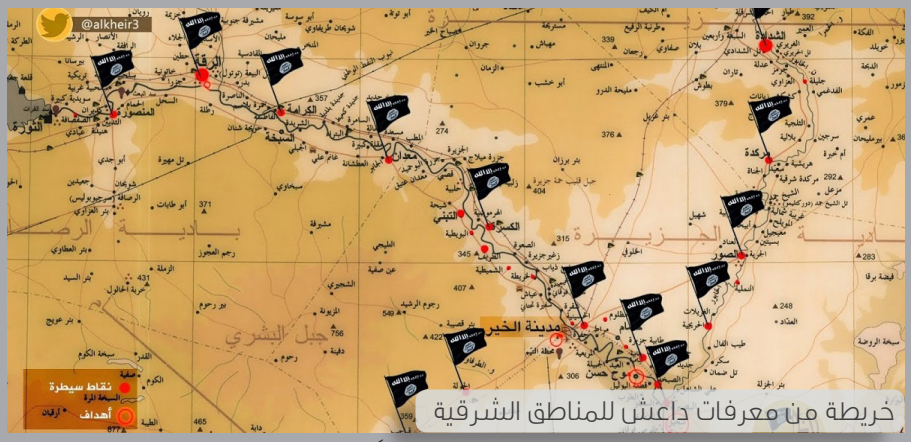

خريطة من معرفات داعش للمناطق الشرقية

ماذا بعد؟؟

بعد توضيح معالم التوافق الروسي الأميركي يبقى استشراف السيناريوهات المحتملة لمحافظة دير الزور، والتي يمكن تلمّس ثلاثة منها انطلاقاً من منطقة النفوذ الأميركي (الجزيرة):

1ـ **السيناريو الأسوأ**: قد تكون الرسائل الأميركية، العسكرية والسياسية، وسيلة لإلهاء الوسط المعارض بتجاذبات ريثما تسيطر قوات النظام، المدعومة روسياً، على كامل الضفة الجنوبية لنهر الفرات في محافظة دير الزور، ومن ثم عبورها إلى الضفة الشمالية لتسيطر على باقي المحافظة وتفرض أمراً واقعاً على قوات المعارضة التي لم تعد تملك أي منفذ للقتال في دير الزور دون إذن أميركي-تركي.

2ـ **سيناريو بين بين**: قد تعتمد الولايات المتحدة على «مغاوير الثورة» في منطقة الشدادي لقيادة فصائل عربية من مثل «قوات النخبة» و«المجلس العسكري لدير الزور»، وبدعم من «قسد»، لتحرير الضفة الشمالية من المحافظة وتسليمها لمجلس مدني من قبيل مجلس رياض درار.

3ـ **السيناريو الأقل سوءاً**: يفترض هذا السيناريو اتفاق جميع فصائل الجيش الحر (أو غالبيتها) على تحرير الضفة الشمالية للنهر اعتباراً من غرفة عمليات الشدادي، ونقل جميع مقاتلي الفصائل إلى هناك، بمباركة تركية تتقاطع مع مصلحتها بعدم توسع قسد في مناطق عربية أخرى. ويفترض أن القوى السياسية والمدنية الديرية المعارضة استطاعت تقديم نموذج لإدارة مدنية تقبله الولايات المتحدة، الأمر الذي ستنتج عنه منطقة محررة بإدارة مدنية وعسكرية من أبناء دير الزور، حدودها نهر الفرات جنوباً والحدود الإدارية لمحافظة دير الزور من الشرق والغرب والشمال، تحت النفوذ الأميركي الذي يشترط عدم قتال النظام لاحقاً، وحسن الجوار مع مناطق سيطرة قسد.

تبقى الإشارة إلى أن أي محاولة للتقدم باتجاه دير الزور من البادية السورية ستصطدم بقوات النظام، وبالتالي لن تكون مدعومة من أي دولة في ظل إمساك الولايات المتحدة بجميع خيوط الدعم، والتي باتت تشترط محاربة الإرهاب فقط دون النظام قبل السماح بأي دعم، الأمر الذي سيجعل قوات المعارضة عرضة للإبادة من قبل سلاح الجو الروسي-السوري، في براري مكشوفة لا مخابئ فيها.

ماذا بعد داعش؟؟

تفقد المعارضة الديرية جميع أوراقها في حال طُبّق السيناريوهان الأول أو الثاني، لكنها أمام استحقاق ثقيل إذا طبّق السيناريو الثالث المشروط بعدم قتال النظام. وفي هذا السياق لديها الكثير من الأسئلة للإجابة عنها:

- هل سيبقى الوضع على حاله إلى ما لا نهاية في محافظة دير الزور؛ الشامية تحت سيطرة النظام والجزيرة تحت سيطرة المعارضة؟
- هل ستجري مفاوضات موضعية مع النظام، متعلقة بدير الزور فقط، بمعزل عما تبقى من الثورة؟
- هل ستكون دير الزور جزءاً من مفاوضات الحل النهائي لسوريا في جنيف وأخواتها؟
- ما هي الملفات التي ستأخذ الحيز الأهم في أي مفاوضات: رحيل الأسد؛ المعتقلون؛ المطلوبون؛ المهجرون؛ المتضررون؟
- ما هي الملفات التي ستسقط تحت ضغط التفاوض والتوافق بين القطبين الضامنين والضاغطين، روسيا والولايات المتحدة؟

هذه الأسئلة، وأسئلة أُخرى كثيرة وصعبة، يجب على معارضة دير الزور الإجابة عنها، قبل الدخول في خلافات أو اتخاذ أي قرار يحدد مصير دير الزور وثُمالة الثورة فيها.

هذه الثورة التي لم تمتلك يوماً معارضة وطنية فاعلة تمثلها، وتبحث بين مصالح الدول عن مصالح منطقية وعقلانية قابلة للتحقق، بل ابتُليت بمعارضة همها الأكبر أن تحل محل نظام الأسد دون اكتراث بالطريقة، فحاولت بمجلسها الوطني اجترار النموذج الليبي، واعتمدت التصعيد في خطابها الداخلي واستجداء التدخل الأميركي في خطابها الخارجي، الأمر الذي قال عنه روبرت فورد في أكثر من مناسبة: «الولايات المتحدة لن تتدخل من أجلكم». معارضة جعلت من ارتماء ثوار دير الزور في حضن الولايات المتحدة الخيار الأقل سوءاً، إن لم يكن الأفضل في نظر البعض.

دير الزور - رويترز

مقبرة في مدينة الباب - عدسة الكاتب

لا شواهد لقبورهم... وبعضهم بلا قبور

في عيد الفطر الماضي، وخلال الأسابيع الأخيرة قبل عيد الأضحى اليوم، تحدث القائمون على معبري باب السلامة وجرابلس الحدوديين مع تركيا عن عشرات آلاف اللاجئين السوريين الذين اجتازوا المعبرين في طريقهم إلى المناطق المحررة لقضاء عطلة العيد في مدن اعزاز والباب وجرابلس وغيرها من القرى والبلدات.

خليفة الخضر

تقول تقديرات إن 10% من هؤلاء لن يرجعوا إلى تركيا. كثير من العائدين وجدوا بيوتهم مدمرة، لكن العائدين إلى مدينة الباب -التي تحررت من سيطرة داعش في شباط الماضي- لم يتوقعوا أن يجدوا قبور ذويهم بلا شواهد يميزون بها قبراً عن آخر مجاور.

فراس الشاوية شاب ثلاثيني، أب لطفل، ومعتقل سابق في سجون داعش بمدينة الباب، يرتدي لباساً جديداً ويسرّح شعره بطريقة مبالغ فيها كي «يقهر التنظيم» كما يقول: «عيد بدون دواعش بالباب، فكيف لي أن لا أفرح!».

في العيد الماضي لم يجد فراس قبر جده وجدته عندما ذهب يزورهما بعد الصلاة كما هي العادة: «توفت ستي عام 2005. ما قدرت ميّز قبرها. داعش هدمت شواهد القبور بدون ما تبلغ حدا. ضليت ساعة أدور على قبر ستي وأدقق بالحجار والمسافات حتى لقيته». بعد العثور على القبر غرس فراس جذع شجرة إلى جانبه كعلامة. ومن بين القبور والشواهد التي خربتها داعش كان لقبور شهداء الجيش الحر النصيب الأكبر، لمحو آثارهم نهائياً.

في المقبرة الشمالية، في ضواحي المدينة، وفي مقابرها الأخرى، يفتش الناس محنيي الظهور صباح العيد في أكوام الحجارة عن قبور ذويهم. قد تساعد البقايا هنا وهناك، وقد يساعد اكتشاف قبر ما في التعرف على القبر المجاور. وكذلك تساعد شواهد محطمة في التقاط جزءٍ من الاسم أو الكنية او التاريخ للدلالة على القبور.

في مطلع عام 2014، وبعد معارك طاحنة ضد فصائل الجيش الحر، فرض التنظيم سيطرته على الباب التي دخلت في عهده مرحلة جديدة أعدم خلالها مئات الأشخاص في الشوارع والساحات، وكان لمقاتلي الحر وحواضنهم الاجتماعية النصيب الأكبر من أعمال القتل والترهيب. لم تسلّم جثث مقاتلي الحر الذين أعدمتهم داعش إلى ذويهم، ودفنت في أمكنة مجهولة وكيفما اتفق. وفي حالات كثيرة، وبعد أن تصلب الجثة لساعات أو لأيام، كانت ترمى في مكبات النفايات بمنطقة الحدث شمال الباب.

حاول عدي كسار تتبع مصير جثة عمه مقاتل الجيش الحر، والذي أعدمته داعش ثم صلبته على دوار المنطقة في المدينة، لكن الدواعش اكتشفوا محاولاته واعتقلوه أياماً قبل أن يطلقوا سراحه.

خلال عهد داعش كانت دورياتها تحرس مكب النفايات في معظم الأوقات لمنع ذوي الضحايا من البحث عن جثثهم، بل وزرعت جواسيس بزيّ عمال نظافة للمراقبة والابلاغ عن محاولات تنقيب الأهالي في المكبات بحثاً عن الجثث. يقول كسار إن رجلاً يعرفه دفع مبلغاً مالياً لعامل نظافة مقابل تسهيل عملية البحث، وحذره العامل أن يحرص على السر لأن «الجواسيس بمكب النفايات أكثر من النفايات نفسها»، حسب عدي.

بعد تحرير الباب باشرت منظومة الدفاع المدني أعمالها برفع الأنقاض وفتح الطرق وإزالة السواتر الترابية ونزع الألغام، ولكن كانت للمنظومة مهمة أخرى هي دفن جثث قتلى من السكان المدنيين، وحتى لعناصر من داعش تركت جثثهم قبيل انسحابها. كما أضيفت إلى الدفاع المدني وظيفة أخرى هي البحث عن جثث الضحايا في الحفر الجماعية والفردية ومكبات النفايات وآبار المياه.

يقول أبو سليم، وهو عضو إحدى فرق الدفاع المدني العاملة في الباب، إنهم عثروا على عشرات الجثث مجهولة الهوية في الآبار والمزارع القريبة. ويروي قصة امرأة تعرفت على ابنها بدلالة لباسه بعد انتشال الجثة من بئر. تواجه الدفاع المدني، في مساعدة الأهالي على العثور على جثث قتلاهم، عقبات كثيرة، أهمها التغيرات التي لحقت بالضحايا وتحلل جثثهم وضياع معالمهم، خاصة «إن أكلت منها الكلاب» حسبما يقول أبو سليم!

كراغبين في عبور الحدود إلى تركيا بطرق غير مشروعة، نحن زبائن أو ركاب بالنسبة إلى المهربين أو الوسطاء، يتعاملون معنا بعيداً عن أي اعتبارات إنسانية أو اجتماعية، بل كناس لديهم الكثير من المال واستعداد دائم لدفعه، رغم أن المهربين والوسطاء، عادة، لا يحدثوننا إلا كمن يحاول مساعدتنا لسبب إنساني أو اجتماعي.

العبور إلى تركيا (1 من 3)

سوق تهريب البشر في إدلب

سمهر الخالد

يقصد إدلب، منذ سنوات، الكثير من الراغبين في الذهاب إلى تركيا من كافة مناطق سورية، خاصة من دير الزور والرقة وحلب. وتحاول الحكومة التركية، دون التزام صلب، في المقابل، منع أولئك من اجتياز حدودها إلا في حالات استثنائية. لكنها شددت في السنة الأخيرة على إغلاق الحدود، بالتزامن مع بناء جدار إسمنتي يفصل الأراضي السورية عن التركية.

في السابق كان يتخلل عمليات التهريب احتيال من جهة المهرب أو «الراكب»، كأن يرفض الأخير، بعد أن يصبح في تركيا، دفع المبلغ المتفق عليه للمهرب، أو أن يتوارى هذا عن الأنظار بعد أن يأخذ المبلغ من الراكب، أو أن يلجأ إلى تهديده أو الضغط عليه لمعاودة محاولة اجتياز الحدود معه، في حال أمسكت الجندرمة التركية بهما.

وبطبيعة الحال، تنتمي غالبية المهربين إلى أهالي المناطق الحدودية. وهي مناطق ريفية لا يقصدها الزبائن مباشرة لقلة معرفتهم، ولندرة خدمات السكن والتنقل والتبضع والاتصال فيها. وعادة ما يكون استقرارهم في المراكز الحضرية، حيث تنامت مع الزمن فئات تؤمن لهم الخدمات، بالإضافة إلى كفالة المبلغ المتفق عليه للتهريب، عن طريق علاقتهم بالمهربين والركاب على حد سواء. أدى كل ذلك إلى ازدهار سوق خاصة للتهريب، يستثمر فيها المهربون إلى جانب عملاء ووسطاء وسائقين وأصحاب مكاتب عقارية، وأي شخص يعيش في إدلب ويعرف أحد المهربين، الذين جرى العرف بينهم على تحديد مبلغ خاص لقاء جمع الزبون بالمهرب، يتراوح بين 50 و150 دولاراً أميركياً. يحتل المهربون في تلك السوق، وقبلهم الأدلاء (يتراوح أجر الدليل الذي يقود الركاب عبر الحدود بين 50 إلى 100 دولار)، المرتبة الأولى على سلم افتراضي للرأفة بالركاب، من جهة ابتزازهم أكبر قدر من المال، قبل ضمهم إلى مجموعة من الركاب للعبور بهم إلى تركيا.

دون تخطيط مسبق، وجدت نفسي مع مجموعات من الركاب وسط سوق التهريب. وعرفت، في ما بعد، أن جميعنا يعي بطريقة غائمة أنه يقع تحت وطأة الربح الفاحش الذي يحدده المستثمرون في هذا السوق لأنفسهم. لكن مع تراكم محاولاتي الفاشلة للعبور، والعلاقات -نتيجة ذلك- مع المهربين والأدلاء في مراكز احتجاز الجندرمة، والوسطاء في مناطق حضرية في إدلب، اتضحت لي الكثير من أساليب السوق.

تتغير تسمية الطريق الذي يسلكه الركاب بتغير المنطقة أو الطريقة التي يجتازون عبرها، فهناك طرق حارم والعاصي والقطن والجدار والزحف والركض والمشي الطويل والتركتور والإزن (الإذن) والبوابة... ويتحدد سعر الطريق بحسب المشقات التي سيواجهها الركاب أثناء التهريب، ونسبة النجاح المحتملة للعملية. فيكلف طريق حارم، المراقب بشدة، الحد الأدنى للأسعار بمبلغ 300 دولار عن الراكب، بينما تتربع البوابة على قمة الهرم بـ3000 دولار، ويجمع بين الطرق التي ما دون الألف دولار أن المهربين «يفصلونها» بـ250 دولاراً على الوسطاء. على أن لهفة الزبون للوصول إلى تركيا، وجهله، وثراءه، أمور تتدخل كثيراً في تحديد أسعار الطرق، وكذلك درجة العناية بالمجموعة، وعددها. فيما يرفع نجاح أحد المهربين في إدخال مجموعة ركاب سعر الطريق الذي يسلكه لأيام، ويدفع المزيد من الزبائن إليه، إلى حين تيقنهم من دور الصدفة في نجاحه، ووقتها يكون قد صعد نجم مهرب آخر.

بيع الركاب أمر معروف في السوق، الأمر الذي وقعتُ ضحيته مرة مع إحدى المجموعات. إذ تقاضى منا أحد الوسطاء 500 دولار عن الراكب، وأوهمنا أنه سيسلمنا للمهرب، ليتضح في ما بعد أن الآخر وسيط كذلك، اشترانا من الأول بـ400 دولار، دفع منها للمهرب 250 فقط، ووضعنا احترازياً ليومين في قرية حدودية صغيرة لضمان عدم اتصالنا بغيره. وبيع الركاب أحد الأمور التي سوت الاتفاق عليها طبيعة السوق والمستثمرين فيه، إذ إن لأي وسيط ثقة تامة بأي وسيط آخر أو مهرب، من ناحية إخفاء الأسعار الحقيقية للطرق عن زبائنه الذين يخبرهم، بنوع من المكاشفة المفتعلة، أن أرباحه لا تتعدى الـ50 دولاراً فقط عن الراكب، يصرف منها على شؤون سكنهم وطعامهم وذهابهم إلى الحدود.

لكن الطريف في تلك المكاشفة أن المهرب أو الوسيط يتناول فيها، كنوع من اللازمة، شتم المهربين والسماسرة وكشف أساليبهم المعروفة بالاحتيال..!

توزيع منظمة دار - ريف حلب الجنوبي - خاص

مهجّرو حلب

(مقيم؛ نازح؛ مهجّر) تلك التقسيمات الجديدة التي يوسم بها أهالي مدينة حلب، بحسب تاريخ خروجهم منها، لتوزع عليهم في بعض الأحيان «كروت» زهرية أو صفراء أو زرقاء، بحسب الصفة التي يحملونها في مناطق وجودهم الجديدة، في محافظة إدلب وبعض مدن وقرى الريف الغربي لمحافظة حلب.

مصطفى أبو شمس

معظم الذين التقتهم «عين المدينة» من المهجرين يعانون ظروفاً حياتية قاسية، مع ارتفاع أسعار الإيجارات وغياب المساعدات الإنسانية، و«النظر إليهم كمواطنين من الدرجة الثانية وحتى الثالثة في المناطق التي استقروا فيها»، على حد قول الكثير منهم.

حصة إغاثية واحدة خلال تسعة أشهر

شمس الدين الحداد، أحد مهجري مدينة حلب، قال لـ«عين المدينة» إن حصة إغاثية واحدة كانت نصيبه ونصيب عائلته، المكونة من سبعة أشخاص، منذ استقراره في قرية أورم الكبرى في كانون الأول 2016. الأمر الذي أكده لنا بإبراز كرته الزهري (الذي يعني أن صاحبه من مهجري مدينة حلب)، يظهر استلامه حصة واحدة من جمعية «الإحسان» الخيرية. ومن خلال بحث عشوائي في القرية على منازل بعض المهجرين استطعنا رؤية 17 كرتاً مشابهاً، كل أصحابها لم يحصلوا إلا على مساعدة طوارئ -كما أسموها- من جمعية «الإحسان» منذ قدومهم، بالإضافة إلى عدد من العائلات التي خلا كرتها من أي مساعدات، فيما وجدنا بعض الكروت التي حصل أصحابها على مساعدة تدفئة فقط من منظمة «القلب الكبير»، أو مساعدة إغاثية من منظمة «الأيادي البيضاء».

في الوقت نفسه قال أبو حسن، أحد نازحي حلب الساكنين في أورم الكبرى، إنه حصل على مساعدات دورية، وخاصة خلال الأشهر الستة الأولى من سكنه، بمعدل حصة أو حصتين كل شهر، بالإضافة إلى التدفئة ومبلغ 100 دولار قدمته منظمة «دار» للمهجرين من المدينة.

يأخذ المجلس المحلي في أورم الكبرى على عاتقه مهام توزيع المساعدات الإنسانية على المهجرين في القرية، ويربط عمل المنظمات بعمله، فلا يسمح للمنظمات العاملة أو المنفذة لمشاريع مساعدة المهجرين بالتوزيع إلا من خلاله، على حد قول الأستاذ عبد الرحيم عبد الرحيم، رئيس مكتب المراقبة والتقييم في مجلس أورم المحلي، الذي قال لنا: «هناك 365 عائلة مهجرة في القرية، و400 عائلة نازحة، قام المجلس بإحصائها ومعرفة أماكن سكنها وعدد أفرادها. ونظم عمل المنظمات بحيث تقدم المساعدات إلى المجلس الذي يوزعها، مع المنظمات، على المستفيدين». كما قام «بتأمين السكن دون إيجار للمهجرين من حلب، لمدة أربعة أشهر، وقدّم المساعدة لهم ضمن إمكانياته».

وقال عضو المجلس المحلي: «من المستحيل أن تكون هناك عائلات لم تستفد من المساعدات المقدمة من المنظمات إلا مرة واحدة!». وعزا السبب إلى أن هذه العائلات ربما تركت القرية مدة ثم عادت، ولم تكن موجودة أثناء التوزيع. وأضاف: «كشف المجلس بعض العائلات التي تستفيد من أكثر من منطقة وجمعية، وتم توزيع حصتها على مستفيدين آخرين»، ولتلافي هذا الأمر تم ختم الكروت بختم ثان يؤكد وجود المستفيد في القرية وعدم مغادرته. كما تم إنشاء مكتب في المجلس باسم «شكاوى ومساعدة المواطنين»، يستقبل جميع الشكاوى ويفرزها حسب نوعها ويعمل على متابعتها وحلها، إذ خصص لكل مكتب من مكاتب المجلس يوماً يقوم فيه رئيس المكتب بمتابعة شكاوى المواطنين.

وبالعودة إلى كروت بعض العائلات وجدناها تحمل ختمي مجلس أورم الكبرى، كدليل على عدم مغادرتها القرية، وبالرغم من ذلك لم نجد فيها إلا حصة إغاثية واحدة. كما أكد لنا شمس الدين أنه لم يغادر القرية منذ دخوله إليها، وكذلك أبو أحمد الذي قال: «راجعت المجلس أكثر من مرة، وكل مرة كانوا يقولولي ما لك حصة ولسا ما أجى دورك»، أما شمس الدين، فقد قال: «ما حدا بيرد علينا في المجلس، لله الأمر!».

مصطفى عاصي، رئيس المكتب الإغاثي في مجلس أورم المحلي، قال: «هذه الكروت فقط للتمييز بين المهجرين والنازحين وبين أهالي القرية، ولا تسجل فيها الحصص الإغاثية للمستفيدين في كثير من الأحيان. وعندما تكون لدينا خمسون حصة، أو مائة، فإننا نراعي التسلسل حسب الأرقام، ما يؤدي إلى اتهامنا. فبعضهم يأخذ حصة إغاثية وفي المرة الثانية نوزع للأرقام الأخرى، وقد يكون المحتوى مختلفاً، فيقدم شكوى للمجلس لأنه لم يأخذ من هذه الحصة، وهكذا. وفي الأشهر الثلاثة الأخيرة كانت المساعدات قليلة من المنظمات»، وأوضح رئيس المكتب الإغاثي إن جميع الحصص مسجلة، «ونحن على استعداد للوقوف على كل شكوى تخص عملنا».

في الأتارب لا كروت ولا حصص

يختلف الحال في الأتارب عنه في أورم الكبرى. فالمجلس المحلي في المدينة لا يتدخل في عمل المنظمات بل توزع هي الحصص الإغاثية بنفسها. ولا توجد في الأتارب آلية كتوزيع كروت للمهجرين، البالغ عددهم 750عائلة بحسب الإحصاءات الموجودة في المجلس المحلي.

محمد الفاتح، من مهجري مدينة حلب الساكنين في

الأتارب، قال: «لم تأت أي منظمة إلينا. سجلنا في الكثير من المنظمات ولكن لم يصلنا شيء. بعض الناس يأخذون الكثير من الحصص، ولا توجد عدالة في التوزيع». بينما يقول محمد الشامي، وهو أب لستة أطفال: «في الأتارب عليك أن توزع أطفالك أمام أبواب الجمعيات والانتظار حتى قدوم المساعدات لتحصل على حصة إغاثية».

الأستاذ طاهر عكوش، رئيس المكتب المالي في مجلس الأتارب، قال «استقبلت مدينة الأتارب، والقرى المحيطة بها، المهجرين في الفترة الأولى لخروجهم، وفتحت مراكز لإيوائهم، واستعانت بالأهالي الذين استضافوا مهجرين في بيوتهم، ضمن الإمكانيات. ولم تقدم الحكومة والمحافظة أي مساعدة، بل اكتفت بزيارة قام بها رئيس الحكومة ووزير الصحة للمراكز، واعتذروا للمجلس المحلي إذ ليست لديهم الإمكانية لتقديم أي شيء للمهجرين، شاكرين المجلس والأهالي على ما قاموا به».

وأضاف عكوش: «لم تقدم المنظمات شيئاً للمجلس، بل وزعت المساعدات على المستفيدين بشكل مباشر، وقدم لها المجلس المساعدة من خلال الإحصاءات وبعض الآليات».

وقال: «الأتارب ليست قرية صغيرة، فعدد سكانها 35000 نسمة، ومع المهجرين بلغت 60000 شخصاً، ولا يستطيع المجلس تحمل أعباء زائدة. إرضاء الناس غاية لا تدرك، ومهما فعلنا سنبقى متهمين في نظرهم، ولذلك لم نتدخل في عمل المنظمات. اكتفينا كمجلس بتقدمة الخدمات الأساسية كالماء والنظافة، وحتى في هذه نعاني في الحصول على رسم الخدمات الرمزي البالغ 1000 ليرة».

وتساءل رئيس المكتب المالي: «هل من المعقول أن مجلس مدينة حلب لم يحصل على أي مساعدات للمهجرين من المنظمات والمؤسسات الداعمة؟!».

مجلس مدينة حلب الغائب

حمّل الأستاذ عكوش مجلس مدينة حلب المسؤولية الأكبر عن غياب التنظيم وسوء التوزيع والظلم الحاصل على بعض المواطنين، إذ لا توجد مكاتب لهذا المجلس في المدن والقرى الأساسية التي يعيش فيها مهجروه. وقال عكوش: «تواصل مجلس مدينة حلب معنا لتقديم غرفة له داخل المجلس، وبالفعل تم إعطاؤه ما طلب، بالإضافة إلى الإحصاءات والسجلات، ولكنهم لم يأتوا ولم يشغلوا الغرفة ولم يعينوا أي موظف مسؤول عن المهجرين وتنظيم عمل المنظمات التي تعنى بهم».

وتمنى عكوش على مجلس حلب أن ينشئ مكتباً خدمياً للمهجرين، لتخفيف العبء عن مجلس الأتارب من جهة، ولأن مجلس المدينة أدرى بالأشخاص وأكثر قدرة على التعامل معهم من جهة أخرى.

محسوبيات في المجالس، وأهل حلب زناكيل

قال بلال أبو عمر، أحد أعضاء فريق منظمة «دار»: «بدأت المشكلة بعد ثلاثة أشهر من خروج المهجرين، حين توقفت بعض المنظمات، كمنظمة «ميرسي كور» ومنظمة «بيبول إن نيد» عن تخديمهم، ووقعت باقي المنظمات في عجز عن تخديم جميع العائلات. منظمة «دار» تخدم ثلث المهجرين، ونعمل على تلافي هذا العجز من خلال تقسيم الحصة الإغاثية على عائلتين».

وبحسب أبو عمر تعاني المنظمات من «تحكم المجالس المحلية التي ترفع القوائم بناء على المحسوبيات»، كما ظهرت في الفترة الأخيرة «المناطقية»، عندما طالبت أربعة مجالس محلية منظمة «دار» بنسبة من الحصص الإغاثية المقدمة للمهجرين لقاء السماح لها بتخديمهم، على حد قول بلال الذي أوجز المشكلة بـ«توقف بعض المنظمات، وتقصير بعضها، وعدم التنسيق بين الجمعيات والمنظمات والمجالس المحلية. بالإضافة إلى ضعف هذه الأخيرة وقلة خبرتها في العمل المدني، والطابع المناطقي والقبلي الغالب على معظم المكاتب الموجودة».

وأكد أبو عمر أن «المجالس المحلية تسجل الحصة مباشرة على الكرت الزهري عند التوزيع، فكل كرت غير مسجل عليه يعني أن صاحبه لم يستفد من الحصة الإغاثية».

وقال خالد الحموي، مدير العلاقات العامة في جمعية «شباب النهضة»: «الكثير من المجالس المحلية تدرج عدداً من أسماء أهالي القرى والبلدات ضمن اللوائح المخصصة للمهجرين، بنسبة قد تصل إلى 50%، أثناء تنفيذ المنظمات لبعض مشاريع المساعدات، وذلك لإرضاء الأهالي».

وأضاف الحموي: «معظم الذين يعملون في مكتب المراقبة والتقييم يكونون من أهل تلك القرى، ولذلك يتم التغاضي عن مثل هذه الأخطاء».

من جهته يقول درغام حمادي، رئيس مجلس حيّ كرم الخياطة سابقاً، وأحد المهجرين من مدينة حلب: «تصل المساعدات في الغالب إلى غير مستحقيها، وهناك الكثير من الظلم في التوزيع، كما أن هناك نظرة إلى المهجرين كمواطنين من الدرجة الثانية في الكثير من المناطق».

وبحسب حمادي هناك حالة استياء تطال المنظمات التي تعنى بالمهجرين، وشكاوى ترد إلى المجالس المحلية بعدم أحقية هؤلاء في الحصول على المساعدات، فـ«أهل حلب زناكيل وهو بحاجة».

توزيع منظمة دار - ريف حلب الجنوبي - خاص

داخل مغارة في ريف حماة الشمالي - خاص

«كنا نتخبى بالمغارة من قذايف بشار، صرنا نتخبى فيها من الشوب... لنشوف لسا من شو رح نتخبى! والله يا بنتي ملينا وتعبنا من هالعيشة، حتى النوم متل الخلق صار محرم علينا من هالشوب. عمري 52 سنة، ما شفت بعمري متل هالأيام وشوباتهن. مشان تكمل معنا، لأنه نحن ناقصنا»؛ بهذه الكلمات بدأت أم عبد الله حديثها عن موجة الحر والطرق التي اتبعتها للتخفيف من آثارها.

مريم أحمد

حيل لتخفيف آثار موجة الحر في الشمال السوري

ما يقي من القصف يقي من الحر

اجتاحت موجة حر قاسية سورية والدول المجاورة، بلغت درجات الحرارة فيها مستويات عالية، ما زاد معاناة السوريين في ظل انقطاع دائم للكهرباء، فصار إيجاد بدائل للتأقلم مع الحر أولوية الجميع. ومن أهم هذه البدائل استخدام المغاور والكهوف للإقامة بها في الأوقات التي تشتد فيها درجات الحرارة. فغالبية الأسر كانت قد حفرت مغاور تحت الأرض للاحتماء من القصف، وأسهمت هذه الطريقة في تخفيف الخسائر في الأرواح. وأصبحت لهذه المغاور مهمة مزدوجة الآن، فغالبية الأسر التي تملك مغارة أصبحت تلجأ إليها في ساعات النهار هرباً من الحر، لأن درجات الحرارة تنخفض فيها لتصل إلى 10 درجات. ولكن لهذه المغاور مضار على الصحة بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة داخلها، بالإضافة إلى صعوبة التهوية ونقص الأوكسجين، ما يؤدي إلى أمراض كثيرة وخاصة لدى الأطفال.

أم عبد الله من أهالي بلدة معرة حرمة بريف إدلب الجنوبي، تستخدم هي وأسرتها المغارة الموجودة تحت منزلهم غالبية اليوم، قالت لـ«عين المدينة»: «حفر أبو عبد الله المغارة من 4 سنوات، وضربت الطيارة فوقها مرة والحمد لله ما تأذينا لأنه كنا بقلبها، وهلق بنام فيها أنا والولاد الظهر لأنه شوب كتير وكهربا ما في. بس والله يا بنتي كتير بيضيق خلقي لمن أنزل عليها، بس شو بدنا نعمل».

وتقوم بعض الأسر بوضع بعض الأطعمة المعلبة داخل المغاور، وبعض الأغطية الضرورية، والماء، تحسباً للبقاء في داخلها لمدة طويلة.

البوظ حل جزءاً من المشكلة

منذ بداية عام 2012 بدأت تظهر في الأسواق ألواح البوظ التي صار يستخدمها الناس في تبريد المياه والحفاظ على الأطعمة أحياناً. ولكن بسبب غياب المؤسسات الرقابية على الأسواق في الشمال السوري كانت أسعار لوح البوظ غير مستقرة، وتراوحت مؤخراً بين 800 ليرة سورية و2500 في أوقات ازدياد درجات الحرارة. وأدت موجات الحر المتتالية إلى ارتفاع غير طبيعي في أسعار البوظ، والازدحام الشديد على الباعة جعلهم يرفعون الأسعار دون أي رادع ولا اكتراث لمعاناة الناس.

«والله المي السخنة دوّبت قلبي. ما بقدر أشربها، وما بحسن أشتري بوظ لأنه غالي ومصروف تاني، وما عندي حدى بيروح على الجسر ليجيب لي بوظ. وهالشوبات حرمونا من النوم، بالليل شوب وبق وبالنهار شوب كتير»، هذا ما قالته أم صطوف، المرأة المسنة من أهالي قرية المعلقة القريبة من جسر الشغور.

الكلس خفّض درجات الحرارة

لجأ الكثيرون من سكان الشمال إلى دهن أسطح المنازل والجدران المعرضة لأشعة الشمس بمادة الكلس (الجير)، فلونه الأبيض يعكس أشعة الشمس ويسهم بالتالي في خفض درجات الحرارة داخل المنازل. ويستخدمه السكان لرخص ثمنه وزيادة بياضه، فتكاليف دهن سطح منزل بمساحة 100 متر مربع لا تزيد عن 4 آلاف ليرة، وهو سعر منخفض مقارنة بسعر الدهان.

حسين العلي (48 سنة)، مدير مدرسة في ريف حماة الشمالي، قال لنا: «دهنت سطح بيتي بالكلس، بعد أن رأيت جيراني يستخدمونه، فكانت النتيجة إيجابية جداً. لقد انخفضت درجات الحرارة داخل المنزل بشكل ملاحظ».

مراوح تعمل على بطارية السيارة

لا يكاد يخلو منزل في المناطق المحررة المحرومة من الكهرباء من هذه المروحة ذات الجودة الرديئة. فقد أغرق التجار السوق بهذا النوع من المراوح مع بداية فصل الصيف. وتراوح سعر الواحدة منها بين 22 و70 دولاراً. وتمتاز بقلة استهلاكها للكهرباء، فهي تعمل على بطارية صغيرة. لكن من سلبياتها الكثيرة سرعة تلفها، وقلة الهواء الناتج عن حركتها بسبب صغر مروحتها وضعف محركها الصغير، بالإضافة إلى كلفتها الزائدة الناتجة عن الحاجة إلى البطارية ولوح طاقة شمسية تصل كلفتهما إلى 300 دولار. لكنها كانت حلاً أسهم في تخفيف أثر موجة الحر.

كما أن استخدام الجرة الفخارية (الخابية) الملفوفة بالقماش أو المدفونة في التراب للحفاظ على برودة المياه لمدة طويلة، واستخدام القصب بوضعه على أسقف الخيام وتغطيته بقماش مبلل بالماء، هي الأخرى طرق بدائية عاد الناس إلى استخدامها للتأقلم مع ظروفهم.

الدكتور ماجد بري
الشهيد الخلوق

محمد سرحيل

السيرة الذاتية

ولد محمد ماجد بري عام 1983 في مدينة حلب. نشأ وترعرع وسط عائلة مُحافظة مثقّفة، هو الابن الأكبر لها. كان من المتفوّقين في مراحل دراسته كافّة. حصل على شهادة الطبّ البشري من جامعة حلب عام 2009 بتقدير جيد جداً، ثمّ بدأ مرحلة التّخصص (داخلية هضمية)، إلا أنّه انقطع في بداية السنة الثالثة على خلفية المُلاحقة الأمنيّة التي تعرّض لها مطلع الثورة. عرفتُهُ شديد الهدوء، قليل الكلام، كثير الحياء، سرعان ما تحمرّ وجنتاه لشدة أدبه، دمث الأخلاق والمعاملة، كريماً، متواضعاً، ملتزماً دينياً، لا يتوانى عن مُساعدة مُحتاج أو مريض أينما كان، يقضي معظم أوقاته خارج المنزل بعيداً عن أهله، متنقّلاً بين المشافي وأسرّة المرضى.

التحاقه بالثورة

التحق الشهيد الماجد بالثورة مبكراً، فهو أحد أعضاء تنسيقية أحفاد الكواكبي التي نشطت في الأحياء الغربيّة من حلب. يفتح لنا مروان الخطيب (دكتوراه في الهندسة المدنية) سجل ذكرياته متحدثاً لـ«عين المدينة» عن صديقه الثائر: كان لقاؤنا الأول أثناء التّحضير لحركة الاحتجاج التي عرفت ببركان حلب، في اجتماع داخل المدينة، بحضور بعض آل بري الذين جمعهم ماجد بهدف استقطاب العشيرة تجاه الثّورة، أو تحييدها على الأقل. إلا أنّ الملاحقة الأمنيّة لكلَينا فرّقتنا، لنجتمع بعد بضعة أشهر في منزل واحد بمدينة أنطاكية التركية.

تأثّر ماجد قبل الثّورة بالشيخ الشابّ المرحوم، شيخ جيل واسع من الشباب الحلبي، باسل الجاسر. لازمه مدةً طويلة، وكان ضمن دائرته الضّيقة، وأخذ عنه عشرات الدروس في العلوم الشرعية. وعن سبب التحاقه بالثّورة يقول أحد المقرّبين منه: كان ماجد شديد الغيرة والحرص على شباب سورية، يحزنُه حالهم وتؤسفُه حالة الضياع والتيه لديهم. كان ينتظر فرصةً ينتفضُ فيها الشباب ليعودوا إلى جذورهم، ويعيدوا أمجاد أمّتهم، ويرفعوا اسم بلادهم عالياً بالعلم والحضارة والعدل بين الناس.

الهجرة إلى تركيا والعودة إلى حلب مجدّداً

اضطرته الملاحقة الأمنيّة إلى ترك عروسه ولم يمض على زواجه سوى أشهر قليلة، ليغادر متوجّهاً إلى تركيا نهاية 2011. وفي منتصف العام التالي أسس، بالتعاون مع د. حسان نجار، (طبيب سوريّ مقيم في ألمانيا هاجر إلى تركيا) أوّل دار للاستشفاء في أنطاكية، استقبل فيها ورعى الجرحى السوريين، وتابع أمورهم في المشافي الخاصّة والحكوميّة. بعدها عمل منسّقاً لمحافظة حلب في اتحاد المنظمات الطبية الإغاثية السورية، وأسهم في تأسيس العديد من المشافي الميدانية ودعمها. وبعد مدّة التحق بمنظّمة أطباء عبر القارات، كعضو لجنة المشاريع ومدير فريق الاستعداد المبكر والاستجابة السريعة. كما شارك في العديد من المؤتمرات والنّدوات والدّورات الإسعافيّة. بعد تحرير ريف حلب الشمالي توسّع نشاطه، وانتدب لمشافي الريف عموماً ومشفى اعزاز الوطني خصوصاً، ثم امتدّ نشاطه إلى ريف إدلب.

ومن المفارقات المؤسفة التي جرت مع الشهيد، أنّه، ورغم كل التهديدات التي تلقّاها من شبّيحة آل بري، استمر في نشاطه الثوريّ، في حين أنّه تعرّض لمضايقات من بعض الفصائل، واحتجز مرّة، لأنه «بري». ومن الطريف أنه في إحدى جولاته في أحياء مدينة حلب المحررة حديثاً، وكانت مناطق سيطرة الجيش الحر والنظام لا تزال متداخلة؛ تاه مع سائق السّيارة ليجد نفسه على حاجز لقوات الأسد، وأبرز هويته بناءً على طلب عناصر الحاجز معتقداً أنها نهايته، إلا أنه سرعان ما سُمح له بالعُبور مع الاعتذار، لمجرد أنه من آل برّي!

قبيل الوداع

قبل استشهاده بأيام قليلة، بدا الماجد وكأنه يودّع أصحابه وأحبابه. كان يغبط كلّ شهيد، متحسّراً على نفسه. منشوراته الأخيرة على فيسبوك خصّصها للحديث عن الشّهادة والشهيد. ومن يدري فلعلّه طلبها بصدق فنالها. يضيف د. مروان: آخر لقاء بيننا كان في الأحياء الشرقيّة من مدينة حلب، نتنقّل بين المشافي. كان يحدثني -متألماً- عن الخلافات بين الكوادر الطبية، وكأننا في مرحلة الرّخاء ولسنا في مرحلة المخاض وألم التحرير. في طريق العودة سأله أحد الأصدقاء عن صحّة طفلته التي تحتاج إلى عمليات جراحيّة عدّة، وهي في عامها الأول، فتحدّث بحرقة عن تقصيره في حقها!

الوداع الأخير

في الخامس عشر من تشرين الأول عام 2014 لقي ماجد ربّه، شهيداً على طريق الكاستيلو، بصاروخ حراري استهدفت به ميليشيات الأسد عدة سيارات مدنية، إحداها كانت سيارة إسعاف تابعة لمنظومة «إنقاذ» التي لم يمض سوى بضعة أيام على انضمامه إليها، تاركاً وراءه زوجةً وطفلتين!

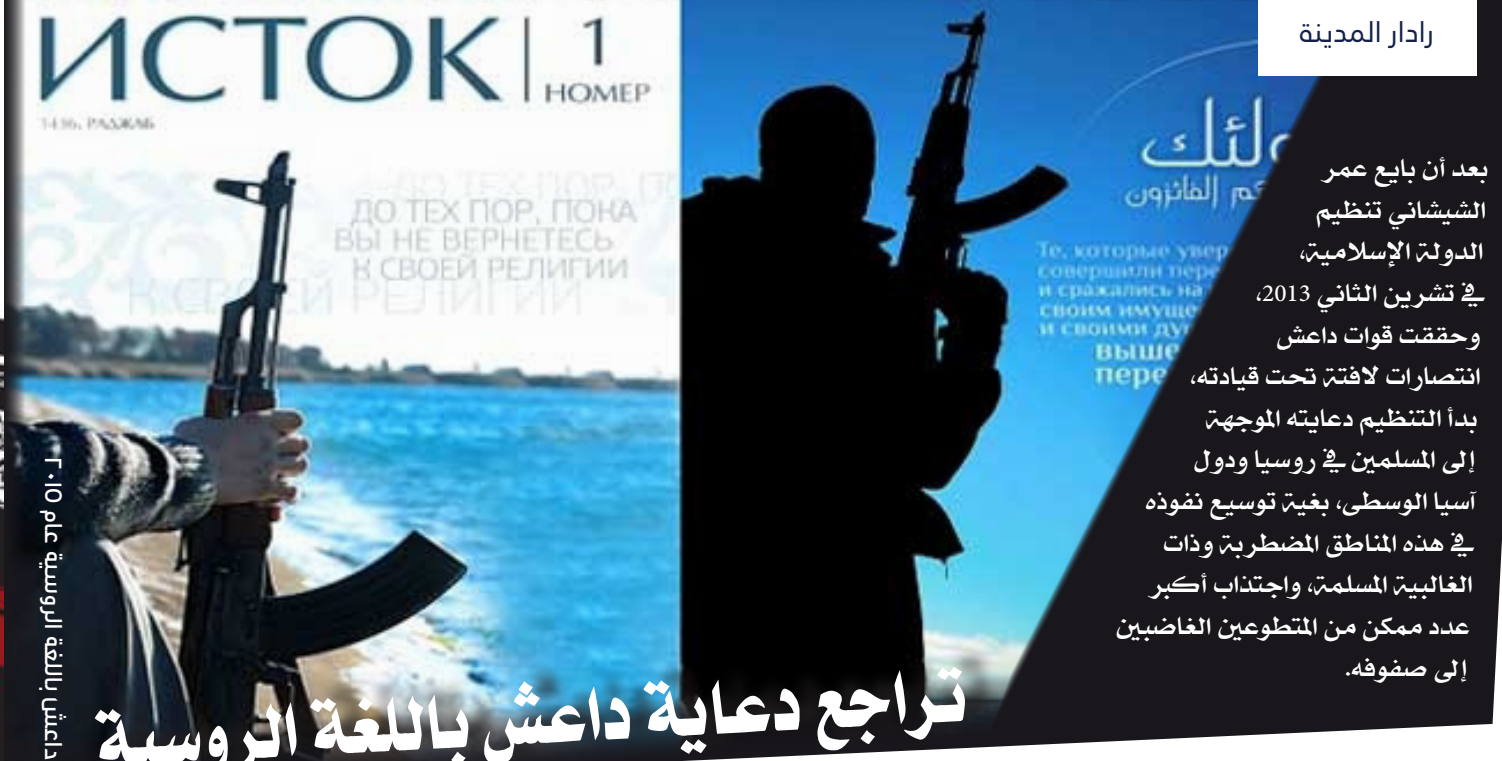

تراجع دعاية داعش باللغة الروسية

بعد أن بايع عمر الشيشاني تنظيم الدولة الإسلامية، في تشرين الثاني 2013، وحققت قوات داعش انتصارات لافتة تحت قيادته، بدأ التنظيم دعايته الموجهة إلى المسلمين في روسيا ودول آسيا الوسطى، بغية توسيع نفوذه في هذه المناطق المضطربة وذات الغالبية المسلمة، واجتذاب أكبر عدد ممكن من المتطوعين الغاضبين إلى صفوفه.

د. علي حافظ

استمرت دعاية التنظيم باللغة الروسية على وتيرة واحدة حتى منتصف العام الحالي. وخلال هذه السنوات قامت مؤسسة داعش الإعلامية الناطقة بالروسية، والمعروفة باسم Furat Media (فرات ميديا)، والتي يشرف عليها أبو جهاد الشيشاني (نشرنا عنه مقالاً في العدد الماضي من «عين المدينة»)، بتحديث المعلومات بشكل دوري على صفحاتها في فيسبوك وتويتر وتيليغرام. إلا أنها تراجعت بشكل ملحوظ في الآونة الأخيرة، فمنذ بداية تموز 2017 لم تصدر هذه المؤسسة سوى ثلاثة مقاطع فيديو.

في الفيديو الأول، الذي يحمل اسم «قافلة الشهداء»، ويتألف من جزأين، الصادر في 6 تموز، تتحدث «فرات ميديا» عن مقاتلي التنظيم الذين ماتوا كانتحاريين خلال المعارك السابقة في العراق وسورية. كما عرض الفيديو لقطات من الهجمات التي شنها مقاتلو التنظيم، ظهر خلالها شاب يقدم نفسه على أنه أبو عبد العزيز الشيشاني، يبارك إنشاء الخلافة وينهال بالتقريع على المسلمين الذين يرفضون، أو ما زالوا مترددين في الانضمام إلى داعش. كما يهدد روسيا بالجهاد الجديد في شمال القوقاز. ويوجه كلماته الأخيرة إلى أبو بكر البغدادي، حاثاً إياه على عدم الاستسلام، رافعاً همة رفاقه بقوله: «كنا وما نزال أقوياء في مدينة الموصل المحاصرة». تشير هذه الملاحظة إلى أن المقطع صُوّر في وقت سابق من معركة الموصل التي استمرت تسعة أشهر. ينتهي الفيديو بإطلاق النار على سيارة بيضاء تتحرك على طول الشارع الرئيس في المدينة، ثم تنفجر وترتفع غيوم الدخان الأبيض، لتظهر على الشاشة عبارة: «استشهاد أبو عبد العزيز الشيشاني»!

وبعد أسبوع، أي في 14 تموز، أصدرت «فرات ميديا» شريطاً آخر يظهر لقطات تدريبية لمقاتلين من داعش يصوبون بالقناصات. توضح الرسوم البيانية الواردة ضمن الفيديو أنه في غضون شهر قتل قناصو التنظيم 164 مقاتلاً كردياً وجرحوا 90. ويتحدث في الفيديو أحد المدربين، ويدعى زياد الأذري، باللغة الروسية بلكنة داغستانية. وأغلب الظن أن هذا الفيديو قد صور في بداية شهر تموز 2017 في محافظة الرقة.

نشرت مجلة «آفاق الإرهاب»، التي تصدرها جامعة ليدن الهولندية، في عددها الأخير، دراسة بعنوان «تصدعات في الخلافة أون لاين: كيف تفقد الدولة الإسلامية قوتها في معركة الفضاء الافتراضي»، جاء فيها: «عالم الجهاد الافتراضي للدولة الإسلامية، الذي بدأ عام 2014، يشهد تراجعاً حالياً، الأمر الذي ينعكس في تدهور نوعية وكمية إضاءة الأحداث وفعاليتها». غير أن بعض المحللين لا يوافقون على ما جاء في هذه الدراسة، لا سيما في ما يتعلق بالدعاية بالروسية لداعش. إذ قال آدم رايزمان، الخبير في المجموعة الاستخباراتية SITE، في تصريح لـ «صوت أمريكا»: «لم نلحظ انخفاضاً كبيراً في نوعية الدعاية، لأن دعاية «فرات ميديا» في الأساس كانت دائماً غير منتظمة، مقارنة بالدعاية الرسمية لداعش... إن معظم مواد فرات الإعلامية مكرسة لمقاتلين معينين، ولا زالت تواصل نهجها في هذا الاتجاه في الأشهر الأخيرة».

وتشير جوانا باراشوك، الموظفة المستقلة في مركز التحليل البريطاني IHS Jane's، إلى وجود دلائل على أن نشاط دعاية داعش باللغة الروسية على شبكة الإنترنت قد ضعف أيضاً. فمقر الدعاية الناطقة باللغة الروسية لداعش كان في الموصل، وفقدانها المدينة أثر طبعاً على نشاطها الدعائي. ووفقاً لباراشوك أيضاً، فإن القناة الرسمية لداعش باللغة الروسية على تيليغرام أصبحت في الأشهر الأخيرة تنشر معلومات أقل من السابق، وغالباً ما تترجم الأخبار العربية من وكالة «أعماق».

وعلى الرغم من ذلك، فإن تأثير دعاية داعش على جيل الشباب من المسلمين الناطقين بالروسية لا يزال قوياً، وهذا ملحوظ خصوصاً في المناطق ذات الأغلبية المسلمة في روسيا، كما يذكر محمد تاييف، مراسل وكالة «العقدة القوقازية»: لأن «السياسة القمعية للدولة الروسية في تلك المناطق تدفع الشباب نحو التطرف». من الطبيعي أن تتراجع دعاية داعش، لا بالروسية فحسب، وإنما بكل اللغات، نتيجة الخسائر التي تتلقاها في كل مكان، وفقدانها جُل إعلاميها المميزين من خلال ضربات طائرات التحالف.. داعش التي بدأت كفقاعة إعلامية، ثم انتفخت إلى درجة كبيرة بالدم الأسود، ستتقلص من جديد لتعود كما كانت.

العدد الأول من مجلة (المنتج) التي أطلقها مركز الشرق للدراسات الاستراتيجية عام ٢٠١٥

ترجمة

A farm is taken over by its overworked, underfed animals. With flaming idealism and stirring slogans, they set out to create a paradise of progress, justice, and equality. Thus the stage is set for one of the most telling satiric fables ever penned - a razor-edged fairy tale for grown-ups that records the evoluon from revolution against tyranny to a totalitarian just as terrible. When animal farm was first published fifty years ago, Stalinist Russia was seen as its target. Today it is devastatingly clear that wherever and whenever freedom is attacked, under whatever banner, the cutting clarity and savage comedy of George Orwell's masterpiece has a meaning and message still ferociously fresh.

animalfarm

George Orwell

مزرعة الحيوانات والمجتمع المتجانس

لعل أخطر ما جاء في الخطاب الأخير لبشار الأسد، الذي ألقاه أمام موظفي وزارة خارجيته، هو حديثه عن المجتمع المتجانس. الأمر الذي لاقى، بحق، اهتماماً واسعاً من المعلقين على الخطاب.

بكر صدقي

ذلك أن التجانس المقصود يستدعي صوراً من الأنظمة الشمولية في «أنقى» تجسداتها، حيث الأفراد متماثلون، مبرمجون على أعمال محددة ويستخدمون كلاماً متشابهاً يعكس فكراً موحداً يملى عليهم من مركز النظام، عبيد أو روبوتات بينها تقسيم عمل واضح: فثمة طبقة الحراس أو العسس التي تحمي القيادة وتشكل يدها الضاربة، بمثابة روبوتات مبرمجة على قمع الطبقة الدنيا، وثمة طبقة العبيد التي تمتثل للأوامر، فإن تمردت كان عقابها الموت.

لقد صور الكاتب البريطاني جورج أورويل هذا النظام، مستلهماً النظامين الستاليني والنازي، بشفافية عالية في روايته الشهيرة 1984. أما في «مزرعة الحيوان» فقد استلهم التجربة الشيوعية في روسيا عن قرب باستخدام شخصيات رمزية من عالم الحيوان.

نشرت رواية أورويل هذه في العام 1945، أي مع نهاية الحرب العالمية الثانية. ثمة ثورة تقوم بها حيوانات إحدى المزارع، بقيادة الخنزير الحكيم ماجور بوصفه الأذكى بينها، ويهرب صاحب المزرعة السكير وعماله، فتصبح السيادة فيها للحيوانات. يضع ماجور المبادئ السبعة لمذهب الحيوانية animalism، ويكتبها على حائط إحدى الحظائر، فتكون بمثابة دستور يتقيد به الجميع طواعية.

هناك تنافس دائم بين مساعدَي ماجور المقربين، نابليون وسنوبول، إلى أن يموت قائد الثورة، ويطيح نابليون بسنوبول ويطرده من المزرعة ليتفرد بحكمها زعيماً أوحد، سرعان ما يتحول إلى دكتاتور، ويتم إعدام كل من يخالف تعليماته بتهمة العلاقة مع «الخائن» سنوبول.

تمضي السنوات ونابليون يوغل في حياة الترف على حساب شقاء الحيوانات التي تحولت إلى عبيد، وباتت تعمل بكد أكثر مما كانت عليه الحال قبل الثورة، وتنال طعاماً أقل.

لكن «وزير اقتصاد» نابليون، الخنزير المدعو سكويلر، كان يتلو عليهم إحصاءات تؤكد أنهم يعيشون حياة الرفاهية بالقياس إلى ما قبل الثورة.

على هذا المنوال تمضي رواية أورويل في هجاء لاذع للتجربة السوفييتية البائدة، مع الشخصيات الرئيسية التي برزت فيها، كلينين (ماجور) وستالين (نابليون) وتروتسكي (سنوبول)، ومع تقنيات التطويع والاستعباد وتزوير التاريخ الموصوفة ببراعة.

ربما من المجحف لرواية أورويل، كما للتجربة السوفييتية، كما للحيوانات، إسقاط رمزيات الرواية على تجربة النظام السوري الذي تفوّق في بهيميته حتى على نفسه. لكن المغري في الأمر هو تواتر الكلام عن الحيوانات في الفترة الأخيرة، سواء في وصف الرئيس الأميركي دونالد ترامب لـ«نظيره السوري» بالحيوان، أو في زجر مطرب نظام التطوير والتحديث، علي الديك، جمهوره في معرض دمشق الدولي بالقول: «هنتو بقر».

كم هي كبيرة المفارقة بين حالة علي الديك وزميله جورج وسوف الذي ظهر، قبل بضع سنوات، وهو يقبل حذاء رامي مخلوف. مفارقة كاشفة للتراتبية الطبقية في مزرعة الحيوان الأسد: فالديك ينتمي إلى طبقة الخنازير الحاكمة، وفقاً للرمزية الأوروبية، في حين ينتمي «سلطان الطرب» إلى طبقة البقر رغم كل شعبيته المحلية والعربية. ومن علياء منصته الطبقية هذه يرى الديك جمهوره السوري بقراً يضربهم مرافقوه الأمنيون، قبل إعادتهم إلى دمشق في شاحنات مخصصة لنقل الدواب. فثورة المزرعة، التي قامت على مبدأ المساواة بين جميع الحيوانات، وصلت إلى الاكتفاء بمبدأ وحيد ينص على أن «جميع الحيوانات متساوية، لكن بعضها أكثر مساواة من غيرها»، حسب التعبير البديع لأورويل.

عرف السوريون، منذ سنوات وعقود، كيف يراهم النظام، لكن وقاحته في إعلان ذلك على الملأ تبقى مثار دهشة صادمة. ذلك أن الأنظمة الدكتاتورية أو الشمولية أو حتى البهيمية، في جميع التجارب المشابهة، تحافظ، في خطابها العلني، على نوع من المخادعة الماكرة إذ تسمّي العبد وطنياً مخلصاً، والشبيح بطلاً، وهكذا. أما أن يتباهى الحيوان بأنه نجح، بعد قتل وتشريد ملايين السوريين، في الحصول على مجتمع متجانس، أو أن يقول مطربه للجمهور إنهم بقر، فهذا يشكل سابقة تسجل في سجل الأنيماليزم.

المثقفون ودورهم في الثورة

أبو محمد الإدلبي

عام 1970 تسلم الحزب الاشتراكي في تشيلي، مع حلفائه، الحكم بعد انتخابات ديمقراطية. وبعد ثلاث سنوات قام الجنرال بينوشيه، مدعوماً من الولايات المتحدة، بانقلابه الشهير على الليندي. وكان بين من لوحق إثر ذلك أحد أشهر شعراء العالم وقتها، بابلو نيرودا. وفي عام 1936 اغتيل في إسبانيا الشاعر الشهير فيديريكو غارثيا لوركا. هذان مثالان عن مشاركة المثقفين في هموم الشعوب المظلومة، ذكرني بهما ما آل إليه وضع الثورة السورية وهجرة مثقفيها إلى تركيا وأوروبا.

في مقتلتنا في الثمانينيات كان لي صديق أتشارك معه السخرية من المثقفين الذين كانوا يحفظون بضع جمل، أو أسماء بعض المفكرين والفلاسفة العرب أو الأجانب، ثم يرددونها أمام الناس كي يحوزوا شهرة وتقديراً أكبر من واقعهم. حتى وصل بنا الأمر إلى السخرية من مشاهير المفكرين أمثال عبد الله العروي وياسين الحافظ ومحمد عابد الجابري وميشيل فوكو وفرويد وغيرهم. وكان هذا لغرض المزاح وتغيير المزاج، وللخروج من النمطية التي يفرضها جو السجن. وبعد خروجنا من المعتقل كنا نتردد إلى المقاهي في أوقات فراغنا، مما أتاح لنا الفرصة للتعرف إلى بعض المثقفين. لكن أغلب هؤلاء كانت سمتهم الظاهرة هي «الهرب» من واجبهم في مقاومة الاستبداد، فكانوا يكتبون عن النقد الأدبي والبنيوية والأنثروبولوجيا والأركيولوجيا وغيرها من الكلمات الشائعة في الثقافة الأوروبية وليست لها علاقة بهموم الشعب السوري. وكانوا يتكلمون عن فلسطين والعراق ولبنان وأفغانستان ويصمتون عما يتعلق بسورية.

وفي عام 2002 قام الصهاينة بمحاصرة مخيم جنين في فلسطين تمهيداً لاقتحامه، وقد انطلقت أكثر من مظاهرة في حلب تندد بهذا الحصار وبموقف الحكام العرب المتخاذل. وفي هذا الوقت كان من يسمون أنفسهم «المثقفين» يطلون من المقاهي المشرفة على ساحة سعد الله الجابري وهم يشربون القهوة، وبعضهم يسخر من المظاهرة، ولم يخطر في بالهم المشاركة في موضوع يتعلق بفلسطين خوفاً من المخابرات الذين كانوا موجودين وكان مصورهم يلتقط الصور للمتظاهرين الذين كان عدد جيد منهم من «خريجي» المعتقلات.

كان المثقفون يتأكلهم الخوف واليأس والكآبة من النظام الوحشي ويكيلون الاتهامات -سراً- للشعب الخانع لهذا الاستبداد الذي لا نهاية له. غير أن انفجار الشعب السوري في غضبته الكبرى، وثورته على الاستبداد والطغيان والتمييز الطائفي ومطالبته بالحرية والكرامة والعدالة، فاجأ الأغلبية الساحقة من المهتمين بالشأن العام وأولهم المثقفون!!

كان الشعب يخوض تحديه للسلطة في مظاهرات عارمة، يسقط في محصلتها شهداء وجرحى ويغيب معتقلون، ثم يعاودون الكرّة في الجمعة التالية، إلى أن أصبحت المظاهرات يومية، كل ذلك وأغلبية المثقفين مشدوهون! فمنهم من كان يؤيد السلطة ويدافع عنها ويقتات على موائدها ويكتب التقارير الأمنية لها، ومنهم من كان يشاهد المظاهرات من على شاشات التلفزيون أو الإنترنت، وقلة منهم شاركت فيها ودفعت ثمناً غالياً: حياتها أو المعتقلات. وقد انسحب المثقفون من المشهد الثوري مهاجرين إلى تركيا أو أوروبا، وهناك بدأوا الكتابة في الصحف والمجلات والظهور على شاشة التلفاز، يتكلمون عن الثورة والجرحى والقتلى والحرب، ويحللون المواقف، وينتقدون بعضهم، ثم يخلدون للنوم على أسرّتهم الوثيرة مرتاحي البال وربما... الضمير!

في حين كان يجب عليهم البقاء منذ البداية لتشكيل التجمعات أو الأحزاب، أو حتى الانضمام إلى الفصائل العسكرية، ليكون لهذه الثورة جسم سياسي ثوري في الداخل بدلاً من هذه الأشكال الحالية التي أصبحت صدى لسياسات الدول الإقليمية والدولية وليست لها علاقة بالشعب السوري!

اليوم التالي

Wissam Al-Jazairy

أحمد عيشة

ماذا لو أفاق السوريون ذات يوم وسمعوا خبراً يفيد بتوقف عمليات القصف والقتل الذي يمارسها النظام وداعموه في حق مواطنيه، والقتال بين الفصائل، وبين الفصائل والنظام؛ بمعنى توقف الرصاص والبدء بمرحلة ترتيب سياسي جديد للبلاد المدمرة؟

لا شك أن هذا يبدو، للوهلة الأولى، سؤالاً افتراضياً. ولكنه، من جهة أخرى، يحمل بعض إمكانات تحققه، خاصة وأن مثل ذلك القرار ستتخذه جهات دولية وإقليمية، لا السوريين.

ولكن كيف سيتعامل السوريون مع خبر كهذا؟

بعيداً عن الجوانب العاطفية والوجدانية، التي لم تُبقِ كثافة القتل ووحشيته مكاناً لها، فلا وقت للحزن والتعازي، ولا وقت أيضاً للفرح والأعراس، فالطائرات لم تترك ساحات لها؛ دعونا نتأمل الوضع ببرود، على الرغم من أنها حالة افتراضية تماشياً مع ما بدأت منه، ولكنها ممكنة.

تمظهرت السياسة الأميركية تجاه سورية، أيام إدارة أوباما، في عدم الانخراط المباشر والقوي فيها، والاكتفاء بحالات الدعم المحدود التي لا تؤدي إلى تغيير جدي في ميزان القوى لصالح الفصائل المعارضة، والاكتفاء بإدارة الأزمة من الخلف، ربما في مسعى لتفتيت قوى الثورة العسكرية، نتيجة أسباب عدة أهمها الموقف من إسرائيل وعدم تكرار تجربتي أفغانستان والعراق. هذه السياسة التي التقطها الرئيس بوتين، الطامح إلى عودة بلاده إلى حالة إمبراطورية، أو حالة قوة عظمى، بعد أن فقدت دورها الدولي أيام الحرب الباردة، وعانت الكثير من الأزمات الاقتصادية، كما تعرضت لعملية إذلال قوية من الغرب تمثلت في تطويق حلف شمال الأطلسي روسيا بشكل شبه كامل. الأمر الذي ولد ردات فعل عنيفة لدى الأخيرة، ولدى بوتين، بغزو أوكرانيا، وتنصيب حكم موال له، بعد ضم شبه جزيرة القرم، ما دفع الغرب إلى تقييده بمزيد من العقوبات.

لم يكتف بوتين بالدولة الجارة بل قرر الاقتحام، بعد التقاطه اللحظة المناسبة وهي انسحاب الإدارة الأمريكية من ساحة الصراع على سورية، وبالتنسيق الكامل مع إسرائيل بما يضمن أمنها وسلامتها من جهة، وإطلاق يدها بالكامل فوق الجغرافية السورية من جهة أخرى؛ فقرر التدخل العسكري المباشر، في نهاية أيلول 2015، لرسم الخارطة الجديدة، ولجعل سورية منطقة نفوذ قديمة/جديدة له، أو ورقة تفاوض هامة مع الغرب وأميركا.

يلاحظ المراقب للمجريات الأخيرة في سورية، والترتيبات الدولية والإقليمية الجديدة، أن الأمور تسير نحو حل ما، ينطلق من الثوابت التي فرضتها روسيا بالقوة وبالاتفاق مع إيران على الأرض، وباشتراك تركيا -لأسباب عدة- في العملية، وأخيراً أميركا، في ما عرف باسم مناطق خفض التصعيد، نحو تعميمها على معظم المناطق عدا مناطق المعارك مع داعش، والتي ستدخل في التسوية النهائية لشكل الحكم في سورية.

بمعنى أنه تكون مناطق خفض التصعيد، أو مناطق تقاسم النفوذ، أو مناطق سورية المقسمة؛ هي نقطة الانطلاق نحو حل ما.

لا شك أن مصالح الدول التي فرضت هذه المناطق تقاطعت عند هذه النقاط، ولكن هناك تباينات كثيرة بينها، فلكل دولة مصالح وفق رؤيتها وقدرتها على تطبيق تلك الرؤية من حيز إقليمي إلى دولي.

ويبقى السؤال الأهم: كيف سيتعامل السوريون مع هذه الاتفاقات والصراعات بين تلك الدول؟

لم تكن الحالة التي وصل إليها السوريون بعيدة عن صراع تلك المصالح وسعيها الدائم وتحكمها إلى درجة الهيمنة، إضافة إلى وحشيتها في تدمير المدن والبشر، مما كان وراء عزوف الناس عن الاهتمام بقضيتهم، واللجوء إلى وضع من التسليم الكامل لإرادة تلك الدول أو غيرها. وصار الجواب البسيط والسائد أن حل قضيتنا خارجي، ولا يمكننا أن نغيّر شيئاً، وكأن الأمر قضاء إلهي.

إن عملية الخلاص من الاستبداد ونظامه الأسدي تبدأ بخلخلة بنيته، وهو ما أنجزته الثورة السورية من خلال إضعاف شوكة أجهزته الأمنية وكسر سطوتها، وهي الخطوة الأولى نحو التحول الديمقراطي، مع معرفة أنه مسار طويل لا بد من استكماله بالعمل على الإفراج عن المعتقلين، والخلاص من ميليشيات إيران الشيعية التي حولت التنوع المذهبي والعرقي في بلدنا إلى عامل تقسيم وصراع. ولجميع السوريين مصلحة في هذا الخلاص، كما لا بد من تعزيز العلاقة مع الدول التي لها مصلحة فيه، أو في إضعاف دور إيران، وأولها تركيا والولايات المتحدة وحتى روسيا.

وكي تكون خطوة السوريين مقبولة من الدول المعنية، لا بد أيضاً من العمل على الخلاص من الفكر المتطرف مهما اختلفت تسمياته.

فالإجماع الوطني حول قضية مشتركة، تحظى بتأييد دولي كبير، هو المقدمة الأساسية لكسر الاستبداد والانتقال نحو الديمقراطية، في مسار يضمن حقوق الجميع.

سوريا أكبر تغريبة في زماننا

(٢ من ٢)

مايكل بيترو
مونتريال غازيت
ترجمة مأمون حلبي

يُمثّل إفراغ سوريا من سكانها أكبر هجرة قسرية تشهدها الإنسانية منذ الحرب العالمية الثانية. ملايين البشر المحطمون على المستوى الشخصي سيعيدون تشكيل الشرق الأوسط -ومن بعده العالم- لأجيال قادمة.

تمتد مدينة مرسين التركية على الساحل الشمالي للبحر المتوسط، وتكتظ أحياؤها الأكثر فقراً باللاجئين. الكثيرون منهم يعملون في ورشات خياطة تحت الأرض، وبعض من هؤلاء العمال أطفال. في إحدى هذه الورشات قابلنا **عبدو**، 15 عاماً، من مدينة حلب. يقول إنه يكسب 100 دولار كأجر شهري، وإنه يريد الذهاب إلى المدرسة، لكن عليه أن يعيل أسرته.

أختان تعملان في ورشة بمرسين

في لبنان يبيع الأطفال اللاجئون المناديل الورقية وملمعات الأحذية، أو يتسولون على قارعة الطرقات، كما في تركيا والأردن. لكن بين اللاجئين السوريين في المخيمات غير الرسمية في وادي البقاع يوجد أيضاً شكل إقطاعي تقريباً من العمل يربط العامل برب العمل بشكل إجباري. تمتد المشكلة إلى ما قبل الحرب في سورية، عندما كان السوريون يأتون إلى البقاع ليعملوا في الزراعة بشكل موسمي. وكان رجل يعرف بالشاويش يبقى بعد انتهاء الموسم وينظّم العمل اللاحق لأفراد من عائلته أو قريته. عندما دفعت الحرب آلاف السوريين إلى لبنان، اعتمد الكثيرون منهم على شاويشهم لترتيب نقلهم إلى لبنان والدفع للمهربين والحصول على خيمة أو كوخ في مخيم على أرض خاصة مُستأجرة. أثناء هذه العملية تراكمت عليهم ديون ضخمة للشاويش، يجب أن تُسدّد عن طريق العمل. مُلّاك الأراضي اللبنانيون في البقاع ما زالوا في حاجة إلى عمال، والشاويش يستأجر اللاجئين الذين له في ذمتهم مال.

عواش، 37 عاماً، تعيش في كوخ مكتظ مع عائلتها المكونة من زوجها وأطفالها وأبيها وزوجة أبيها التي لها خمسة أطفال من زوج متوفى. عواش والأطفال هم من يكسبون قوت العائلة. معظم الأطفال يعملون. وعواش، التي ما تزال ترضع أصغر أطفالها، مرغمة على ترك رضيعها 7 ساعات في اليوم للعمل في الزراعة. منال، 10 أعوام، تعمل في الحقول، وهي لا تعرف المدرسة إطلاقاً. تقول عواش: «أرغم منال على العمل لأن علينا أن ندفع للشاويش وعلينا تأمين متطلبات العيش». مواس عراجي، رئيس بلدية بر الياس المجاورة، سمع أن بعض اللاجئين السوريين في تلك المنطقة يتم استغلالهم، لكنه يقول إن معظمهم يلتزمون الصمت حيال ذلك: «السوريون ليسوا عبيداً للشاويش، لكن المشكلة أنه لا أحد يبلّغ عن هذا الأمر. لو تم الإبلاغ لتصرفنا».

الزواج المبكر، شأنه شأن عمالة الأطفال، يحرم كثيراً من اللاجئين السوريين من التعليم. وفي حين كان هذا الأمر شائعاً في بعض المجتمعات الريفية قبل الحرب، فاقم الفقر والانهيار الاجتماعي هذا النزوع. في بدايات هذا الشتاء تزوجت **منى**، 14 عاماً، ابن عمها عبد الله، 18 عاماً، في مخيم في وادي البقاع، حيث يعيشون. ويُظهر فيديو مصوّر بالموبايل لحفل الزفاف منى وهي في ثوب أبيض وحولها جمع من الرجال والنساء، والثلج يندف كقصاصات الورق. هناك أيضاً فرقة موسيقية وقدور ممتلئة بالدجاج للضيوف. تقول منى: «لو كان الأمر بيدي لفضلت الانتظار. لكن والديَّ قررا وأنا قبلت لأنه كان القرار الصائب. الزواج يقدم لي الحماية، هناك كثير من الناس لا أخلاق لهم. لو أتيح لي البقاء في المدرسة لأحببت أن أكون طبيبة أسنان». أما تعليل عبد الله لزواجه من منى فهو أبسط: «لقد أحببتها». عروس أخرى صغيرة في المخيم تكرر تفسير منى بخصوص الحاجة إلى الحماية. إنهم يتكلمون عن خوف عائلاتهم من الاغتصاب أو من ممارسة الجنس قبل الزواج في بيئة مكتظة وتفتقر إلى الخصوصية، وحيث البنى العائلية الاعتيادية قد تنقلب رأساً على عقب لغياب أو موت الآباء والإخوة.

تركيا أحد أقوى المناوئين لحكم الأسد. وكان للحرب السورية تأثير كبير على سياستها وأمنها وعلاقاتها الخارجية. مع ذلك، بين البلدان الثلاثة في الشرق الأوسط التي تستضيف

معظم اللاجئين السوريين تبقى تركيا الأقل اهتزازاً من هذا التدفق. فهي أكبر وأغنى وذات كتلة سكانية أعلى من الأردن أو لبنان، والعبء عليها أقل بالمقارنة. في مدينة الريحانية قرب الحدود السورية تقوم مدرسة السلام، التي أسستها جمعية خيرية كندية، بتدريس منهاج سوري معدل. وهي تضم مجاناً قرابة 1500 طالب لاجئ، وقد أرسلت اثنين من الخريجين للدراسة في جامعة كونكورديا في مدينة مونتريال الكندية. يقول **رمزي**، الذي يدرس أبناؤه في هذه المدرسة: «عمل أبنائي لبعض الوقت في تجميع البلاستيك، لكنهم الآن في المدرسة لأن التعليم أهم من النقود». أقل من عشرة في المئة من اللاجئين السوريين في تركيا يعيشون في مخيمات اللاجئين، لكن شروط الحياة في هذه المخيمات أفضل بكثير مما هي في مخيمات لبنان غير الرسمية، وفي الحقيقة أفضل مما في كثير من مخيمات اللاجئين في أماكن أخرى من العالم.

بخلاف تركيا، كان لبنان هشاً حتى قبل أن ترمي الحرب السورية أكثر من مليون شخص إليه. في أفضل أوقاته، يُشكّل لبنان خليطاً سريع العطب من الشعوب والأديان: مسيحيون؛ مسلمون سنّة؛ مسلمون شيعة؛ دروز، وغيرهم. والسلطة السياسية في البلد مقسمة وفق هذا التوزّع. لقد تمّ تحدي هذا التوازن بوصول اللاجئين السوريين، وأغلبهم مسلمون سنّة. يقول دياب مدوّر، وهو عامل زراعي من قرية مسيحية في وادي البقاع: «إن بقي اللاجئون سيصبح السنّة أكثرية. المسيحيون -وأيضاً الدروز والشيعة- سيهاجرون، لأن للسنة عقلية متطرفة، وفي خاتمة المطاف سيستلمون السلطة. بالطبع أساند الأسد. أراد السوريون الحرية وها هم الآن قد دمروا بلدهم. كنا في السابق نغار منهم».

يقاتل حزب الله في سوريا إلى جانب الأسد. أنصار الحزب أيضاً غير سعداء بوجود لاجئين سنّة في لبنان. يسأل ماهر الدنا، وهو صحفي يعمل لصالح منابر إعلامية مرتبطة بحزب الله: «لماذا معظم اللاجئين نساء وأطفال؟ لأن أقرباءهم يقاتلون داخل سورية، وهو ما يفسر عدم فرارهم داخلياً. توجد أماكن آمنة داخل سوريا، لكن معظمهم مرتبطون بتنظيمات إرهابية». قيل لماهر إن السوريين ربما يغادرون بلدهم لأنهم يخشون ما قد يصيبهم إن اعتقلتهم القوات السورية، فيرد قائلاً: «قطعاً يوجد بعض التعذيب. هذه حرب، ولا يمكن ضبط كل شيء. معظم المعتقلين إرهابيون، ولن نضعهم في فنادق خمس نجوم. الجيش السوري وحزب الله يسدون معروفاً كبيراً للإنسانية لأنهم يقاتلون الإرهاب».

إيناس، وهي لاجئة سورية تعيش مع ستة أطفال في إحدى ضواحي بيروت، قلقة من الانقسام الطائفي في موطنها الجديد. زوج إيناس اختفى في سورية، وهي تحت ضغط مالي هائل. تتدبر أمرها بالاعتماد على المساعدات النقدية التي تقدمها مفوضية اللاجئين وبرنامج الغذاء العالمي. سابقاً كانت إيناس وأولادها يعيشون بين سوريين آخرين في شقق غير قانونية أجرها لهم مالك لبناني. أغارت الشرطة على الشقق وتم إخلاء إيناس التي خسرت كثيراً مما كانت تملك وأمضت أسبوعاً بلا مأوى قبل أن تجد شقة من غرفتين بمساعدة مفوضية اللاجئين. تقول إيناس: «بسبب الغارة نشعر أنه غير مرحب بنا، خصوصاً أن معظم جيراننا مسيحيون ونحن مسلمون. نبقى في البيت معظم الوقت، ونخرج فقط في الليل لشراء حاجياتنا».

يُظهر بحث قام به معهد تابع للجامعة الأميركية في بيروت أن 61% من اللاجئين السوريين في لبنان الذين هم في سن الدراسة ليسوا في المدرسة، وأن التسرب الدراسي بالنسبة للاجئين في المدارس العامة قد يصل إلى سبعين في المائة نتيجة عوامل مثل اللغة (كثير من المدارس العامة في لبنان تعتمد اللغة الفرنسية أو الإنكليزية)، التكاليف المالية، الزعرنة في حق السوريين، صعوبات التكيف.

الأردن، المعرّض بدرجة كبيرة لارتدادات الحرب السورية وأزمة اللاجئين، قد لحقه الضرر. فهو بلد فقير، واقتصاده التجاري دُمِّر. يشتكي الأردنيون من منافسة السوريين في مجال العمل. مع ذلك، الأردن مستقر نسبياً. فأجهزة استخباراته تتمتع بالكفاءة وللبلد علاقات وثيقة مع دول غربية عدة. يرى أيمن هلسا، أستاذ حقوق الإنسان في جامعة الإسراء في عمّان، أن الافتقار إلى الحماية من الاستغلال عامل يجعل اللاجئين يُحجمون عن المساهمة في النمو الاقتصادي للأردن. يقول هلسا: «يصبح العمل أكثر فأكثر وكأنه عمل قسري. اللاجئون خائفون من المطالبة بحقوقهم. إن كنتَ سورياً تعمل لي ولم أدفع لك في نهاية الشهر، ماذا تستطيع أن تفعل؟ وضعيتك القانونية غير واضحة». النتيجة هي أن كثيراً من السوريين الذين كان لديهم في سورية عمل يتطلب مهارات عالية، يعملون في الأردن مقابل أجور منخفضة أو في الخفاء.

يوسف

في مركز الحياة الثقافي في إحدى ضواحي عمّان يتدرب الأطفال اللاجئون - والأردنيون- على المسرح والرقص ونشاطات أخرى. مؤخراً أدى الأطفال مسرحية. إنها قصة فتى أُجبر على ترك بلده، وفي البلد الذي فرّ إليه يقاوم من يزدريه ويضربه. تمثّل الحبكة تجربة لاجئين سوريين في الأردن. الفتى السوري **يوسف**، 11 عاماً، الذي لعب دور البطولة، يقول إنه يرى نفسه في هذه القصة. في المسرحية، يأتي الفتى لمساعدة أولئك الذين عذبوه ويتصالح معهم. هذه القصة ليست مختلفة عن تجربة يوسف في الأردن. في المسرحية، الأصدقاء الجدد للفتى يساعدونه على العودة إلى وطنه. يوسف يريد أن يحصل الأمر ذاته معه. يقول عن سورية: «إنها المكان الذي ترعرعت فيه. إنها وطني».

أن تكوني لاجئة في تركيا

موقع Ekmek ve Gül
20حزيران
ترجمة رياض أولار

أجبر نصف سكان سورية على مغادرة منازلهم بسبب الحرب، وتشكل النساء والأطفال 75% من مجمل هؤلاء المهجرين. لجأ الملايين إلى بلدان عدة، على رأسها دول الجوار، في حين اضطرت الأكثرية إلى النزوح إلى مناطق أخرى داخل بلدهم.

يصبح 20 شخصاً لاجئين كل دقيقة

صرح المندوب السامي لشؤون اللاجئين في الأمم المتحدة أن عدد المهجرين بسبب الحروب الجارية في شتى أنحاء العالم وصل إلى أعلى مستوى له حتى الآن. وحسب معطيات الأمم المتحدة لعام 2016 هناك أكثر من 65 مليون شخص اضطروا إلى الهروب داخل بلدانهم أو خارجها، ما يعني معدل 20 شخصاً كل دقيقة.

سورية هي البلد الأكثر في عدد المهجرين خارج بلدهم. وحسب آخر معطيات الأمم المتحدة، بتاريخ 19 حزيران 2017، هناك 5 ملايين و58 ألفاً و456 لاجئاً سورياً مسجلاً حول العالم. مليونان منهم يعيشون في الأردن ولبنان ومصر والعراق، و3 ملايين و550 ألفاً في تركيا. يشكل الرجال 51,5% منهم والنساء 48,5%.

تركيا هي البلد الأكثر استضافة للاجئين في العالم، بنسبة 5% من إجمالي عدد سكانها.

أوضاع اللاجئات بالأرقام

فضلاً عن المشاكل التي يعيشها اللاجئون، للمرأة مشاكلها الخاصة. فلنلق نظرة على أحوال اللاجئة السورية في تركيا، بحسب معطيات AFAD ووزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية:

- 18,4% من اللاجئات أميات، و16,1% تركن التعليم في المرحلة الابتدائية، وفقط 33% منهن أنهين التعليم الابتدائي.
- 8,4% من اللاجئات لم يتزوجن أبداً، و7 بالألف مطلقات، و9% فقدن أزواجهن في الحرب.
- 84,4% من اللاجئات يعملن من المنزل، و4,9% عاملات عاديات، و3.5% عاطلات عن العمل.
- بين 300 امرأة من المنضمات إلى سوق العمل؛ 81.3% كان عمرهن 25 أو أقل عندما تزوجن، و42.7% لديهن أطفال، و11.3% أجهضن برغبتهن.

عندما لجأت أسرتهما إلى تركيا، قبل خمس سنوات، كانت دنيا في الخامسة عشرة وشقيقتها حليّة في الثامنة عشرة. كانتا طالبتين. كانت دنيا تريد أن تكون رسامة، أما حليّة فكانت تود أن تصبح طبيبة.

الآن تعمل كلاهما في ورشة نسيج في أضنة. يبدأ الدوام من الثامنة صباحاً وحتى الساعة السابعة والنصف مساء. تتقاضى دنيا 150 ليرة في الأسبوع، أما حليّة فتقبض 200 ليرة. طبعاً دون ضمان صحي وإطعام. «تقريباً كل عمالهم سوريون، ولكنهم يصرخون في وجوهنا دوماً ويوبخوننا»؛ قالت الأختان. وعندما سألناهما: «لماذا يصرخون في وجوهكم؟» قالت دنيا: «نعتقد أنهم لا يحبون السوريين»، ومع ذلك يشغّلونهم لأنهم يعملون براتب أقل من الحد الأدنى للأجور في تركيا.

مرّت الأسرة بمتاعب كثيرة. إذ فقد أخوهما عينه إثر حادث سير، وتوفيت أختهما بحادث آخر في اليونان بعدما حاولت الهجرة إلى أوروبا لأنها لم تستطع تحمل مشقة الحياة هنا، ولم يصل جثمانها إلا بعد ثلاثة أشهر. «كانت جثة أختي مهترئة»؛ قالت دنيا والدموع تنهمر من عينيها. والدهم وأحد إخوتهم، اللذان ذهبا مع الأخت، ظلا في اليونان. الأسرة مشتتة؛ لا هم يستطيعون الذهاب إلى اليونان ولا باقي أفراد أسرتهم يستطيعون القدوم إلى تركيا. «فقط نتكلم بالهاتف، هم هناك ونحن هنا»؛ تقول دنيا.

- حتى أواخر 2016 سُجلت 184 ألفاً و390 حالة ولادة بين اللاجئات السوريات في تركيا.

العوائق التي تعترض النسوة في طريقهن إلى مواطن اللجوء

يمر اللاجئون الهاربون من ظروف الحياة القاسية في بلدانهم، الساعون للوصول إلى مواطن الأمان، بمشقات ومتاعب عدة، تكون النساء والأطفال هم المتضرر الأكبر منها. وقد أوضح المفوض السامي للاجئين في الأمم المتحدة مخاطر الهجرة على النساء كالآتي:

- استغلال النساء قبل الهروب من بلادهن أو أثناءه، واستغلالهن في بلدان اللجوء، جنسياً وبدنياً.
- استغلال أزواجهن لهن ثم التخلي عنهن.
- إجبارهن على الانضمام إلى الجيش وإشراكهن قسراً في العمليات المسلحة.
- استغلالهن بالدعارة.
- الاعتداء عليهن جنسياً أثناء النزاع وتركهن حاملات.
- الاعتداء عليهن جنسياً أثناء عبورهن الحدود من قبل المهربين وحرس الحدود.
- خطر وقوعهن بأيدي المتاجرين بالبشر.
- مصادرة قرارهن وعدم اعتبارهن شخصاً مستقلاً.

49% من الأطفال اللاجئين مكتئبون

ليس من السهل تربية الأطفال الذين عاصروا الحرب بأعمار صغيرة. وبحسب الأرقام التي أعلنها المنسق العام لجمعية أطباء الأطفال:

- بين كل أربعة أطفال لجأوا إلى تركيا، ثلاثة فقدوا قريباً لهم في الحرب في سورية.
- واحد من كل ثلاثة تعرض للعنف الجسدي.
- اثنان من كل ثلاثة شاهدا بأم أعينهما أحد أفراد الأسرة يتعرض للتعذيب.
- 49% يعيشون حالة اكتئاب.

سَجِّل عقد زواجك
للحفاظ على نسب أطفالك

سَجِّل

صفحة **سجل** على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

Sajjelsyr@gmail.com

مديرية الشؤون المدنية في ادلب

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني

أو الاتصال على الرقم 00905387652110 WhatsApp

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina

/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

سَجِّل

سَجِّلي واقعة الطلاق
للحفاظ على حقوقك وحقوق أطفالك

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 00905387652110
WhatsApp

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR
Sajjelsyr@gmail.com

سَجِّل

سَجِّلي واقعة الطلاق
للحفاظ على حقوقك وحقوق أطفالك

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 00905387652110
WhatsApp

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR
Sajjelsyr@gmail.com